السيرة - هدي النبي صلى الله عليه وسلم - الدرس (٤٢ - ٤٨) : هديه في حب الحياة أثناء الحياة وحب لقاء الله أثناء النزع .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي- تاريخ ٢٩-٠٦-١٩٩٨م

{ بسم الله الرحمن الرحيم }

الحمد لله رب العالمين، و الصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

الحياة فرصة لا تعوض يُبنى عليها حياة أبدية :

عن عائشة رضي الله عنها قالت، قال عليه الصلاة والسلام:

((من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه، فقلت: يا نبي الله أكراهية الموت، فكلنا نكره الموت؟ قال عليه الصلاة والسلام: ليس كذلك، ولكن المؤمن إذا بُشر برحمة الله، ورضوانه، وجنته، أحب لقاء الله فأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا بُشر بعذاب الله وسخطه، كره لقاء الله، فكره الله لقاءه))

[أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي عن عائشة]

الحديث دقيق، الإنسان ما دام حياً، قلبه ينبض، يكره الموت، لأن الله عز وجل ركب في أعماقنا حب الحياة، هذا كلام حقيقي، وواقعي، ما من واحد على وجه الأرض يتمنى الموت، إلا أن المؤمن يكره الموت، ويحب الحياة، ليزداد عمله الصالح، الحياة فرصة لا تعوض، هذه الفرصة سوف يبنى عليها حياة أبدية، سيبنى على هذه الحياة المحدودة، الأيام المعدودة، حياة أبدية، ولا يوجد إنسان يشعر أنه وصل للقمة، دائماً هناك تقصير.

فالإنسان إذا كان عنده بحبوحة في الحياة يتلافى التقصير بعمل صالح، بتوبة، بإخلاص، بطلب علم، إلى آخره.

طالب الحقيقة لا يداري ولا يماري :

فلما قال:

((....من كره لقاء الله كره الله لقاءه، فقلت: يا نبي الله أكراهية الموت، فكلنـا نكره الموت؟...))

أول ملاحظة: طالب الحقيقة صريح، طالب الحقيقة لا يداري ولا يمـاري، ولـو كان مع رسول الله، السيدة عائشة مع رسول الله.

فأنا ألاحظ أحياناً ضمن حلقة بسيطة، إذا سئلنا ماذا يرضي الشيخ؟ نجاوبه رأساً، مثلما يريد، نرتاح ونريحه، هذا طريق غير علمي، طالب الحقيقة يناقش، لا يقبل شيئاً لم يقنع به، أي أنا أجيب كما يرضي فلان حتى أحظى عنده، لا.

صلى النبي ركعتي الظهر، فلما سلم أحد الصحابة الذين هم أضعف شأناً من بين أصحابه - ذو اليدين-، قال: "يا رسول الله، أقصرت الصلاة أم نسيت؟ – طبعاً بأدب يسـأل رسول الله- فقال عليه الصلاة والسلام: كل ذلك لم يكن، -ما سكت ولا تراجـع-، قـال لـه بعضهم قد كان، فالنبي سأل أصحابه: -الآن طلب التواتر، الآن يوجد عنـده روايـة آحـاد، شخص قال له: أنت صليت ركعتين، فسأل الصحابة، قالوا: ركعتين-، فقـال عليـه الصـلاة والسلام: إنما نُسيت كي أسن، لولا أنني نسيت كيف أسجد لكم سجود السهو؟":

سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ

[سورة الأعلى الآية:٦-٧]

الصادق يسأل و يناقش و يرفض المجاملة و المحاباة :

أنا قصدت من هنا: الصادق يسأل، والصادق يناقش، والصادق واقعي، والصادق لا يقبل شيئاً ما قبله طالب حقيقة، القضية ليست قضية تجمع مصـلحي، مجاملـة، المصـالح محققة في هذا التجمع، يتكلم كما يريد، ونحن نرضيه، أمورنا ميسرة، لا، هذا كلام مرفوض.

يروون عن رجل -هذه قصة رمزية لكن عميقة جداً- انكليزي، استأجر حمـارة يركبها، و صاحب الحمارة يمشي إلى جانبه، ويسبه سباباً شديداً، وهـو يظـن أنـه لا يعلـم العربية، فمر شخص يعرف هذين، قال له: إنه سبك، قال له: أعلم أنه يسبني، لكـن الحمـارة تسير.

أحياناً لا يهم الإنسان إذا كان هناك قضية تجمع مصلحي، حلقات علم، أساسه أن يؤمن مصالحه، يقول: علينا ألا نناقشه، و لو تكلم غلطاً نقبل منه، ولو لم تقتنع نقبل منه، ماذا

تكلم نقبل منه، نريد أن نسير أمورنا، هذه علاقة، ليست علاقة علمية، هذه علاقـة مصـلحة، علاقة نفاق، أما العلاقة العلمية فأنا لا أقبل شيئاً حتى أقتنع فيه.

أي الذي يطلب يعلم، يريد أن يقتنع بالعلم، لا يوجد حل وسط، ولا مجاملـة، ولا محاباة.

أي:

((من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه، فقلت: يا نبي الله أكراهية الموت، فكلنا نكره الموت؟ - والسيدة عائشة مؤمنة كبيرة- **قال عليه الصلاة والسلام: ليس كذلك، ولكن المؤمن إذا بُشر برحمة الله** - أي هو على فراش المـوت، وفـي النزع الأخير، وقد علم أنه مغادر الدنيا، فإذا بشر برحمة الله، من علامات الإيمان أن الله يري المؤمن ساعة نزعه مقامه في الجنة- **ورضوانه، وجنته، أحب لقاء الله ...))**

عمل المؤمن الطيب يجعله يحب لقاء الله عز وجل :

أقول لكم هذا الكلام: سمعت عن بعض الصالحات والصالحين، هم على فـراش الموت، قال لها ابنها: شفاك الله لنا، قالت له: يكفي هذا، لا أريد الدنيا، زهقت منها، أريد الله، هذا شيء ثابت، فالإنسان إذا كان عمله طيباً، ومستقيماً، تمنى لقاء الله عز وجل.

والله أعرف رجلاً، أنا لا أعرفه شخصياً، لكن سمعت عنـه، رجـل لـه محـل بالحريقة صالح جداً، له ميزة، ما دخلت عليه لجنة لجلـب التبرعـات إلا وقـال لهـا: هـذا الصندوق، افتح وخذ ما تشاء، ولا تعلمني كم أخذت، هكذا طبيعته، لا يسمح له أن يقول لـه: كم؟ خذ ما تشاء، عمر مسجداً، له أعمال طيبة، يحب الخير، صار معه ورم خبيـث بالـدم، وذهب إلى بلد بعيد ورجع، القصة طويلة لكن ملخصها: في البيت عدة هواتف، رن التلفـون، رفع السماعة، رد ابنه، هو يسمع أن أجله ينتهي بعد يومين، قال له: مع أبيك يومان، - القصة رواها لي صديقه-، لما عرف نفسه منتهياً، قبل ثلاثة أيام اتصل بصديقه و طلب منه أن يأتي إلى عنده– هو مستورد- قال له: هذه الصفقة مدفوع ثمنها، تتابع استيرداها، وتبيعها، وتعطي أرباحها لأولادي، هذه الصفقة لم يدفع ثمنها، ألغها، وقل لهم: الشخص سيموت.

أعطاه تعليمات بكل الصفقات، وكل المستودعات، وكل الذمم، خلال سـاعتين أو ثلاث، أنهى كل علاقاته المالية، في اليوم الثاني استدعى كل أقربائـه، وأولاده، وأصـهاره، وبناته، وودعهم، في اليوم الثالث له بالشام شيخ مشهور، -الآن خارج سوريا-، غسل نفسـه

بيده، وجلس على السرير، وجاء الشيخ، وعملوا له مولداً لمدة ساعة، ومثلما جـاء بالهـاتف بالضبط توفي الساعة الواحدة ونصف تقريباً.

يقول لي صديقه الذي وكله بتجارته: أنا لم أر إنساناً تلقى نبـأ المـوت برحابـة صدر، قال له: يا أبو فلان أنا انتهيت، الحمد لله.

عمله الطيب جعله يحب لقاء الله عز وجل، هذه هنا النقطة أن يكون لك عمل.

لو قيل لك: تعال معنا، أهلاً وسهلاً، أنا منتظر هذه الساعة.

فالمقياس ليس أثناء الحياة تحب الموت، لا، هذا الكـلام لـيس واقعيـاً، الشـيء الواقعي كل واحد منا يحب الحياة، بل إن المؤمن يحب الحياة أضعاف ما يحبها غير المؤمن، لماذا؟ لأن الله عز وجل أقامه بعمل صالح، والعمل يزداد، في تقدم، فكل إنسان يحب الحيـاة، وهذا الشيء الواقعي؛ لكن وهو على فراش الموت، وهو في النزع الأخير، رأى مقامـه فـي الجنة، فقال: مرحباً بلقاء الله.

المؤمن يرحب بلقاء الله عز وجل عندما يشعر أن الموت قريب :

لذلك: اقرؤوا سير الصحابة وانظروا، القاسم المشترك عند كل الصحابة أن كـل واحد منهم كان في أسعد لحظات حياته ساعة لقاء الله.

ما هذا؟ "واكربتاه يا أبت!؟ -ما هذا الكلام!؟- قال لها: لا كرب على أبيـك بعـد اليوم، غداً نلقى الأحبة محمداً وصحبه".

أنا تقريباً قرأت سيرة سبعين أو ثمانين صحابياً، كانت ساعة الفراق فـي أسـعد لحظات حياته، يا أخوان هذا الآن درس بليغ لنا، اعمل عملاً صالحاً بـإخلاص، بحيـث لـو شعرت أن الموت قريب، لا يوجد عندك قلق شديد، لا يوجد خوف، مرحباً بلقاء الله.

إذا شخص حج حجاً مقبولاً، وحدث معه أحوال في الحـج، واصـطلح مـع الله، عندما ينتهي من عرفات، لو فرضنا هكذا جاء ملك الموت نظيفاً.

فالإنسان ينظف حاله، يجهز حاله، يصطلح مع الله، يؤدي الـذمم والحقـوق، لا يطمع بالدنيا، فهذا الحديث مؤشر.

الإنسان أحياناً يوهمه الله أن أجله انتهى، الله عز وجل مرب، له أساليب عجيبـة، هو سيعيش ثلاثين سنة أيضاً، لكن يلقي في روعه أنه انتهيت، يصير خطأ فـي التشـخيص،

مرض عادي، لكن أخذ نتيجة غيره، فيشعره أن الأجل انتهى، ما رد الفعـل عنـد المـؤمن؟ المؤمن يرحب بلقاء الله عز وجل.

قالت:

((يا نبي الله أكراهية الموت؟ فكلنا نكره الموت، قال: ليس ذلك، ولكن المـؤمن إذا بشر برحمة الله، ورضوانه، وجنته، أحب لقاء الله))

المعاصي و الآثام تجعل الإنسان يكره لقاء الله عز وجل :

بالمقابل: إذا كانت حياة الإنسان معاص، وآثاماً، ومالاً حراماً، وفسقاً، وفجـوراً، وجاء ملك الموت يكره لقاء الله.

أعرف رجلاً متفوقاً بالدنيا تفوقاً شديداً، عنده خبرة بالتجارة عالية جـداً، أصـيب بمرض خبيث و هو ما يزال في الثامنة و الثلاثين من عمره، الأهل لم يبلغوه، فله ابن عـم - أحد أخواننا- زاره، سمع منه كلاماً بذيئاً لا يقبل؛ له صاحبات، وله عشيقات، ولـه شـراب، وأموال كثيرة، فلما علم أنه مصاب بمرض خبيث، كانت تأتيه حالات هستريا كل دقيقتـين أو ثلاث، يبحث، يقول: لا أريد أن أموت.

يقول أحد جيرانه في البناء: والله سمعنا صياحاً، لا يوجد بيت في البناء لم يسـمع صوته، عندما فارق الحياة صرخ صراخاً شديداً.

الحالة واضحة، إنسان أحب لقاء الله، وهو على فراش الموت، رأى مقامـه فـي الجنة، بشر بالجنة، فأحب لقاء الله، وإنسان آخر عمله سيئ، عندما عرف مكانه فـي النـار، صرخ خوفاً وذعراً.

فالكافر وهو على فراش الموت حينما يرى مكانه في النار يصـيح صـيحة لـو سمعها أهل الأرض لصعقوا.

الإنسان يكره لقاء الله بسبب المعاصي والآثام ويحب لقاء الله بسبب الأعمال الصالحة

هناك حديثان خطيران بالمعنى نفسه، قال:

((إذا أحبّ لقائي أحببت لقاءه، وإذا كره لقائي كرهت لقاءه))

[أخرجه البخاري ومسلم والنسائي ومالك في الموطأ عن أبي هريرة]

والحديث الأخير:

((من أحب لقاءَ الله أحب الله لقاءه، ومن كرِهَ لقاءَ الله كرِهَ الله لقاءه))

[أخرجه مسلم عن أبي هريرة]

والحقيقة الإنسان يكره لقاء الله بسبب المعاصي والآثام، ويحب لقـاء الله بسـبب الأعمال الصالحة والطاعات.

هذا الذي أحب أن يلغي الإسلام بتركيا نهائياً – أتاتورك- يقولون: قبل أن يموت بأسبوع كان يرى النار تحرق بيته، يطلب مدير الإطفائية، و يسبه، و يقـول لـه: ألا تطفـئ النار؟ فيجيبه أنه لا يوجد نار! أناس يرون ثعباناً، أناس يرون ناراً تشتعل، الحقيقـة: شـيء مخيف.

أنا لي صديق، له عمة توفيت، قال لي: ثماني سنوات أراها تشتعل، النار تشـتعل بثيابها، وهي في حالة صعبة جداً، بعد ثماني سنوات رأيتها في حالة طيبة، سألتها عن حالها، قالت له: يا فلان الحليب.

لها زوج متزوج من غيرها، وله أولاد، تسقي ابنها حليباً كامـل الدسـم، وابـن زوجها نصف الكأس كان حليباً ونصفه ماء، توفر الحليب لأولادها، تسقي أولاد زوجها نصف الكأس حليب، وتضع ماء، يصبح الكأس مليئاً وتسقيه.

طبعاً الرؤيا ليست حكماً قطعياً، لكن يستأنس بها، فحسب هـذه الرؤيـا ثمـاني سنوات تُعذب في النار بهذا العمل البسيط.

هناك أخ من أخواننا له أخ توفي، تاجر في سوق الهال، تحت يـده ثمانيـة آلاف ليرة لإنفاقهم في الخير، كان يصرفهم على حاله، ولم يدفعهم، ومات، رآه يشتعل، قـال لـه: الثمانية آلاف يا أخي، والله جاء أخوه و دفعهم لأحد الأخوان حتى الله عز وجل أنقذه. فالقضية خطيرة يا أخوان.

ملخص الدرس: اعمل عملاً إذا جاء ملك الموت تحب لقاء الله، وإياك من عمـل إذا جاء ملك الموت تكره لقاء الله.

والحمد لله رب العالمين